

برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى غلاطية الحلقة السادسة عشرة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا لرسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في غلاطية، حيث عالج الرسول بولس مشكلة هامة واجهت الكنيسة عند نشوئها. أما هذه المشكلة فكانت علاقة المؤمنين في المسيح بالشرعية، أي بالناموس الذي أنزله الله قديماً على كلمه النبي موسى. وإن كان يجب عليهم لكي يخلصوا أن يعملوا بهذه الشرعية، ويمارسوا فريضة الختان أو التطهير. وهذا ما كان قد علم به بعض المعلمين من أصل يهودي.

فردّ عليهم الرسول بولس مؤكداً أن الإنسان يتبرر بالإيمان بالمسيح فقط، وأن موعد الله لإبراهيم الذي تبرر بالإيمان قد تمّ بمجيء المخلص المسيح. واعتبر بولس أن عهد الناموس كان عهداً شرطياً ومؤقتاً. وكشف أنه في الوقت المعين أرسل الله المسيح. وتحدث عن سيرة إبراهيم الخليل وابنيه إسماعيل وإسحق، اللذين ولدا من هاجر الجارية وزوجته الحرة سارة.

وكشف بولس أن الجارية هاجر ترمز إلى عهد الناموس، وتشير إلى العبودية، وترمز أيضاً إلى اليهود الذين مازالوا تحت العبودية. ولقد أكدت هذه الحقيقة الروحية الهامة أن اليهود لم يعودوا شعب الله كما كانوا سابقاً. أما سارة الحرة زوجة إبراهيم، فهي ترمز إلى أورشليم السماوية، عهد النعمة، عهد الحرية الحقّة، وأولادها هم المؤمنون بالمخلص المسيح. الذين هم أولاد الموعد كإسحق إذ يعتمدون على نعمة الله في خلاصهم.

لقد شرح الرسول بولس هذه الرموز والإشارات الهامة من سيرة إبراهيم الخليل، وابنيه اللذين ولدا من جاريته هاجر، وزوجته الحرة سارة، ليبين للمؤمنين في غلاطية الفرق الكبير بين عهد الناموس وعهد النعمة. عهد الناموس الذي أقامه الله مع بني إسرائيل من خلال كلمه النبي موسى. وعهد النعمة الذي بدأه الرب يسوع المسيح، بموته الكفاري على الصليب وقيامته الظاهرة من بين الأموات. وليؤكد في نفس الوقت أن لا علاقة للمؤمنين بالمخلص المسيح، بفرائض وطقوس عهد الناموس. فالشرعية وجدت لفترة معينة إلى أن يأتي المخلص المسيح. وكشفت في نفس الوقت عن حقيقة الإنسان الفاسدة وأنه عبد للخطية. بينما عهد النعمة عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح، يحرر الإنسان من عبودية الخطية، ويجعله خليفة جديدة من أولاد الله، ويهبه بركة الغفران الكامل، وضمن وعد الحياة الأبدية.

وبتعبير آخر إن المؤمن بالمسيح ليس بحاجة أبداً، لكي يعود إلى عهد الناموس القديم وفرائضه الثقيلة وطقوسه الحرفية. فهو قد تحرر من كل أنواع العبودية ونال الحرية الحقة. وكانت هذه نقطة هامة على الرسول بولس أن يشرحها للمؤمنين في غلاطية، في مواجهة أولئك المعلمين المسيحيين من أصل يهودي، الذين حاولوا خداعهم بضرورة العودة إلى العمل ببنود الناموس أو الشريعة.

وكما ذكرنا في اللقاء السابق صديقي المستمع، فإنه مازال الكثيرون حتى يومنا هذا يظنون أن بإمكانهم الحصول على رضى الله وقبوله، عن طريق ممارسة الفرائض الدينية، والقيام بأعمال الإحسان. لكن الله القدوس العادل لا يستطيع أن يرضى عنا نحن البشر الخاطئة، ومهما قمنا بالفرائض الدينية، والأعمال الصالحة. لهذا ولفرط محبته لنا، هياً الوسيلة التي يستطيع بها أن يحو خطايانا، ويبررنا أمامه. أما هذه الوسيلة فكانت عن طريق إرساله كلمته الأزلي، المخلص المسيح، لكي يقوم بعمل التكفير عن ذنوبنا، بموته البديلي عنا على الصليب، وقيامته المجيدة من بين الأموات.

وهكذا نستطيع نحن البشر الخاطئة، الحصول على تبرير الله وخلصه، عندما نؤمن إيماناً قلبياً صادقاً بالمخلص المسيح وما عمله من أجلنا على الصليب. أي لسنا بحاجة لكي نقوم بأي عمل أو جهد من أجل خلاصنا. هذه هي ما نطلق عليها نعمة الله أي عطية الله المقدمة لنا مجاناً لكي ننال رضاه وغفرانه. فهل ترانا نتجاوب مع هذه النعمة الهدية المقدمة لنا؟ أم نصر على ممارسة الفرائض الدينية الثقيلة وغير المقبولة لدى الله؟

ثم تابع الرسول بولس شرحه لهذا الموضوع الهام فكتب قائلاً: "ولكن كما كان حينئذ الذي ولد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح هكذا الآن أيضاً." (غلاطية ٤: ٢٩) فماذا قصد الرسول بولس بهذا الكلام؟ لكي نفهم هذه الآية المقدسة علينا أن نعود إلى سفر التكوين في العهد القديم. إن الذي وُلد حسب الجسد، أي بتدخل واستحسان بشري كما علمنا سابقاً، هو إسماعيل الذي ولد من الجارية هاجر. أما الذي ولد حسب الروح، أو حسب موعد الله لإبراهيم، فهو اسحق الذي ولد من زوجة إبراهيم الحرة سارة. ولقد اضطهد قديماً إسماعيل الذي ولد حسب الجسد، اسحق الذي ولد حسب الروح أو حسب الموعد. إذ عندما كان اسحق مازال صغيراً أخذ إسماعيل يسخر منه، أي يضطهده بحسب تعبير الرسول بولس هنا. لكن حتى هذه الحادثة كانت ترمز وتشير إلى أن أولاد عهد الناموس سيضطهدون أولاد عهد النعمة.

أي أن اليهود الذين هم جماعة عهد الناموس، سيضطهدون المؤمنين بالمسيح الذين قبلوا نعمة الله. وأيضاً أن المسيحيين الذين يريدون أن يحفظوا الناموس، سيضطهدون المؤمنين بالمسيح الذين اعتمدوا على نعمة الله. وكانت هذه نقطة هامة على الرسول بولس أن يشرحها، لكي يكشف للمؤمنين في غلاطية عن أسباب محاربة هؤلاء المعلمين من أصل يهودي له، ولكل المؤمنين الذين يريدون أن يعتمدوا فقط على نعمة الله.

لكن الرسول بولس تابع ما ترمز إليه وتشير حادثة اضطهاد إسماعيل لإسحق حتى النهاية. فكتب قائلاً: "لكن ماذا يقول الكتاب. اطرده الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة." (غلاطية ٤: ٣٠) فقديمًا بعد أن سخر إسماعيل من إسحق، قالت الزوجة سارة لإبراهيم: "اطرده هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحق. فقبح الكلام جداً في عيني إبراهيم لسبب ابنه." أي ابنه إسماعيل. "فقال الله لإبراهيم: لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك." (تكوين ٢١: ١٠-١٣)

لقد كان وعد الله لإبراهيم منذ البداية أنه سيباركه من خلال ابنه إسحق الذي سيعطيه إياه بأعجوبة. ولهذا طلبت سارة من إبراهيم أن يطرد الجارية وابنها، لأنه لن يرث مع ابنهما إسحق. وهو ما أكده الله لإبراهيم أيضا. أما المعنى أو الرمز الروحي لهذه الحادثة، فهو أن أصحاب عهد الناموس أي اليهود، لا يستطيعون أن يرثوا بركات الله، لأنها محصورة فقط بموعد الله بالإيمان، أي بنعمة الله لكل من يؤمن بالمخلص المسيح.

وهذا سبب آخر أشار إليه الرسول بولس، يدفع المؤمنين بالمسيح لكي لا يحاولوا التمسك بفرائض الناموس ووصاياها الثقيلة. لأنهم كما استنتج الرسول بولس: "إذا أيها الأخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرة." (غلاطية ٤: ٣١) إن المؤمن بالمسيح إذن هو من نسل الحرة، أي من النسل الذي ولد بحسب نعمة الله عن طريق الإيمان بالمسيح.

فهل تود مستمعي أن تكون أنت أيضا من هذا النسل المبارك الذي يرث كل شيء؟ أم تراك ترغب أن تبقى أسير نسل العبودية؟